لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٤ من السنة ٢ عن شوال ١٣٣٠ = تشرين الاول ١٩١٢

خمعة بنت الخس الاياديه

Khoma'ah bint - el - Khoss l' Iâdite.

وقف حضرة استاذنا الشهير ، السيد الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي ، على مقالتنا : «نقد كتاب تاريخ آداب اللغة» (المدرجة في ٢ : ٥٢ - ٦٢) فرأى اننا ذهبنا في اسم ابنة الخس الايادية جمعة ، كما ذهب اليه اغلب كتاب العرب فنبهنا على ذلك قائلاً : انها بالخاء المعجمة الفوقية ، لا بالجيم المعجمة التحتية فذكرنا له ان صاحب القاموس ، وتاج العروس ، ولسان العرب ، والاوقيانوس وصاحب الاغاني ، وغيرهم ، من مشاهير الكتاب الاقدمين والمحدثين ، ذكروها بالجيم لا بالخاء ، فوعدنا حضرته بان يذهب بنفسه الى خزانة كتب المدرسة السليمانية في بغداد ، ويراجع المادة بنفسه ليتحققها ويثبتها . وبعدان وقف على مطلبه كتب الينا ، حرسه الله وابقاه ، الاسطر التالية :

اليوم (٧ آب) ، وجدت فرصة لنقل ما ذكرته لكم ، فذهبت الى خزانة كتب مدرسة السليمانية ؛ وراجعت « شرح حديث ام زرع » للقاضي عياض وذكر في هذا الشرح على سبيل الاستطراد ، نبذة غير يسيرة من كلام من اشتهرن بالفصاحة من نساء الجاهلية ، فقال : ومنهن خمعة ، بضم الخاء وفتح الميم والعين المهملة ، كما ضبطه صاحب العباب ، والمحكم ، وابن الشجري في كتابه : « ما اتفق لفظه واختلف معناه » . يقال : خمع في مشيته اي ظلع ، وهو خماع اي ظلع ، والخامعة : الضبع . الى ان قال : واختلف نسبها ، والمشهور انها ابنة الخس اخت هند . وقيل : غير ذلك ، اه . ثم ذكر نبذة من كلامها المسجع

وشرحه . ومن جملة ما قال : ان كثيراً من النساخ يهم في هذه اللفظة ، فيكتب الخاء جيماً ، وهو غلط اذ ليس في اسماء العرب جمعة علماً على ذكر اواثى اه كلام الاستاذ ونقله .

قلنا : ان استاذنا مصيب في كلامه هذا . وأصحاب المعاجم والدواوين اللغوية والشعرية والادبية الذين ذكروها ، لم يتعرضوا لها في بحثهم ولم يضبطوا الكلمة ضبطاً بالالفاظ ، وانما جاءت في كلامهم استطراداً ، ولعلهم ذكروها في الاصل بالخاء المنقوطة الفوقية ، فلما لم يفهمها النساخ ، او اصحاب المطابع حرفوها . وما اسهل ابدال اسم مجهول ، او نادر الورود ، كخمة ، باسم معلوم او متداول وهو جمعة . قلت : ان كان لم يرد علم ذكر اواثى باسم جمعة في القديم كما ذكره القاضي عياض ، فانه مشهور اليوم ، لا سيما في العراق . فقد يسمى به بعض من يولد يوم الجمعة . لا بل ذكر صاحب التاج في المستدرك ، انه « قد سموا جمعة بضمتين » فانكار القاضي عياض لها في غير محله . وعلى كل فاسم المرأة المشهورة الايادية هي خمة ، بالخاء المنقوطة الفوقية ، كما حققه شيخنا الاستاذ الآلوسي على ما تقدم ايضاحه .

وقد ذكر الادباء من كلامها المأثور شيئاً من المنثور ، ولم يذكروا لها شيئاً من المنظوم ، وقد روى لنا ابن ابي طاهر ، صاحب كتاب بلاغات النساء ابياتاً من شعرها منها هذه :

اشد وجوه القول عند ذوي الحجى ... مقالة ذي لب يقول فيوجز
وافضل غنم يستفاد ويقتنى ... ذخيرة عقل يحتويها ويحرز
وخير خلال المرء صدق لسانه ... وللصدق فضل يستبين ويبرز
وانجازك الموعود من سبب الغنى ... فكن موفياً بالوعد تعطى وتنجز
ولا خير في حر يريك بشاشة ... ويطعن من خلف عليك ويلمز
اذا المرء لم يسطع سياسة نفسه ... فان به عن غيرها هو أعجز
وكم من وقور يفهم الجهل حلمه ... وآخر من طيش الى الجهل يجمز
وكم من اصيل الراى طاق لسانه ... يصير بحسن القول حين يعز
وكم صامتين يملك لسانه ... ويعجز بالكوعين توكا ويخز

وكم من اخي شر قد اوثق نفسه وآخر ذخر الخير يحوي ويكنز
يفر الفتى والموت يطلب نفسه سيدركه لا شك يوماً فيجهز

وهي كلها ابيات حكمية في غاية الجودة . ومن شعرها قولها :

رأيت بني الدنيا كاحلام نائم وكالفيء يدنو ظله ثم يقلص
وكل مقيم في الحياة وعيشها بلا شك يوماً انه سوف يشخص
يفر الفتى من خشية الموت بالردى والموت حتف كل حي سيقنص
اتاه حمام الموت يسعى بحتفه وقد كان مغروراً بدنيا تربص
كأنك في دار الحياة مخلد وقد بان منها من مضى وتقلصوا
لقد أفسد الدنيا وعيش نعيمها فجائع تترى تعتري وتنغص
الا رب مرزوق بغير تكلف وآخر محروم يجد ويحرص

وقد ذكرنا هذا الشعر حرصاً عليه ولقلة وروده في كتب الادب ولما تضمن من الحكمة الرائعة ، والامثال الشائعة . والسلام .

تذييل في نساء العرب Les Femmes Arabes

كتب احد المستشرقين وهو العلامة برون Dr. Perron كتاباً فرنسوياً عنوانه « النساء العربيات قبل الاسلام وبعده » Femmes Arabes avant et depuis l' Islamisme وقد طبعه في الجزائر سنة ١٨٥٨ ، وجمع فيه كل ما قاله العرب في نساء العرب قبل الاسلام (اي في عهد الجاهلية) وبعده (الى عصر المامون) ولا نظن اننا وجدنا كتاباً عربياً حوى ما وعى هذا السفر الجليل الفذ ، بل يتيمة الدهر . والكتاب في قطع الثمن الكبير في ٦٠٤ صفحات يليها فهرس وافٍ يطلعك على محتوياته بسرعة لا تنكر . والقسم الاول منه ، وهو قسم عصر الجاهلية ، يحوي ٤٢ فصلا ، كل فصل منها يبحث عن حالة من احوال المرأة . والقسم الثاني ، وهو قسم عصر صدر الاسلام يحوي ٣١ فصلا وكلها مرتبة ترتيباً انيقاً ، يجمع بين اللذة ، والانس ، ورغبة الوقوف على اخبار نساء ذلك العصر .

ولما تكلم المؤلف عن المرأة الايادية ذكرها باسم جمعة وكتبها هكذا Djoumah اي بالجيم لا بالخاء . ولا جرم ان الكاتب اعتمد في رسم هذا